Majallah Tahqiq
Research Journal of
the Faculty of Oriental Learning
Vol: 34, Sr.No.90, 2013, pp 75 – 96

مجلہ تحقیق
مجلہ کلیہ علوم شرقیہ
جلد 34 جنوری- مارچ 2013، شمارہ 90

"الصخرة الأخيرة" و "وا إسلاماه"

(دراسة مقارنة بين الروايتين)

الدكتور الحافظ عبد القدير*

Abstract: This article is a comparative study of two novels: "Aakhiri Chataan" (Urdu) of Naseem Hijazi and "Wa Islamah" (Arabic) of Ali Ahmad Bakthir. The main theme of both is Muslims' struggle against Tatars and Christians who imposed the so-called sacred wars on them. In this article the researcher has first summarized these novels and then highlighted the similarities and differences between them.
Key Words: Naseem, Bakthir, Wa Islamah, Aakhiri Chataan

إن التاريخ عاجز عن تقديم نظير تلك الفظائع الشنيعة التي سجلها التتار على صفحاته، إنهم لما أغاروا على المسلمين صبوا عليهم سوط عذاب حيث أفسدوا بلادهم وقتلوا مئات آلاف من رجالهم وهتكوا أعراض نسائهم وذبحوا أبنائهم وأهلكوا حرثهم ونسلهم، وتعدَّوا في ذلك كل الحدود، ووصلت همجيتهم إلى أنهم بنوا منارات من هامات إنسانية، فجرت دجلة والفرات في تلك الأيام بدماء المسلمين بدلا من المياه،(1) ولم يزل التتار ماضين على سنتهم حتى "كلت أسلحتهم وتكلكلت أيديهم مما قتلوا من النساء والأطفال فضلا عن الرجال"([2]) وحتى قيل "لا يُقال كم أباد هؤلاء من بلد وإنما يُقال كم بقي".([3])

قد جعل كل واحد من "نسيم حجازي الباكستاني"([4]) و"علي أحمد باكثير المصري"([5]) هذه الفترة القاسية من التاريخ الإسلامي موضوع روايته، فكتب نسيم حجازي روايته الأردية الشهيرة "آخرى چٹان"([6]) أي "الصخرة الأخيرة" حول هذه الأحداث المؤلمة الفاجعة، كما تناولها علي أحمد باكثير في روايته "وا إسلاماه".([7])

نحن فيما يلي من الصفحات نعالج هاتين الروايتين ونقدم تلخيصهما أولاً، ثم نبحث عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما([8])

ملخص رواية: الصخرة الأخيرة

تحتوي رواية "الصخرة الأخيرة" لكاتبها نسيم حجازي على خمس مئة واثنتي عشرة صفحة في ثلاثة أبواب، والقصة بالإيجاز أن الطاهر بن يوسف([9])

---

*- الأستاذ المساعد بالقسم العربي، جامعة بنجاب، باكستان.

الذي يكون من قاطني المدينة المنورة يرتحل إلى مدينة بغداد -مقر الخليفة- بأمر أستاذه أحمد بن حسن، وكان والده "يوسف" من قائدي جيش الفاتح الكبير صلاح الدين الأيوبي([10]) والذي كان قد نصب لواء المسلمين على قلعة يروشلم قبل استشهاده.([11])

وبعد وصوله إلى مدينة بغداد يشتري "الطاهر بن يوسف" لنفسه بيتاً كبيرًا، لأن الحكام وأصحاب السلطة كانوا لا يلتفتون إلا إلى من كان ذا مال وجاه. وسرعان ما تصل شهرته إلى آذان الخليفة ورئيس وزرائه "افتخار الدين"، وذلك بسبب ثرائه وسيف صلاح الدين الأيوبي الذي يكون معه، فيدعوه رئيس الوزراء إلى بيته حيث يلتقي بابنه القاسم الذي يريد منه أن يهبه سيف صلاح الدين، وهذا ما يشدهما إلى ميدان المبارزة في يوم مشهود حيث ينهزم "القاسم" وأستاذه "لوكس"، فيضطرم القاسم على الطاهر حقدًا وغضباً وتنفرًا، فيكيد لقتله إلا أن الطاهر ينجو منه بسب صفية -بنت عم القاسم التي تبدأ تحب الطاهر- التي تخبر الطاهر عن كيده.

ويكون "جنكيز خان"([12]) -رئيس التتار وطاغيتهم- على أتم استعداد لصب سوط عذاب على بلاد خوارزم إلا أنه يكون خائفاً من الخليفة -رغم أن العلاقات بين الخليفة وعلاء الدين خوارزم شاه تكون متوترة- بأنه يُعاون خوارزم شاه عند هجوم التتار عليه حباً وحماسة للإسلام.

تُرسل الحكومة البغدادية "الطاهر" مندوباً لها مع ثلاثة من أصحابها إلى "جنكيز خان"، فيصل إليه ويعطيه رسالة الخليفة، ومضمونها أن الحكومة تُساعد "خوارزم شاه" في صورة هجوم جنكيز خان عليه، ولكن يكتشف الطاهر بعد عودته من بلاط "جنكيز خان" أنه قد خُدع، وأن الحكومة قد لعبت معه دورًا مزدوجاً ونافقته بوجهين، لأن الرجال الثلاثة الذين ذهبوا معه إلى "جنكيز خان" قد أيقنوه أن الحكومة البغدادية تكون مع جنكيز عند هجومه على "علاء الدين خوارزم شاه"([13]).

وفي أثناء ذلك يجتمع عند "علاء الدين خوارزم شاه" أكثر من مائتي ألف جندي، فيخرج لقتال التتار على خلاف من رأي ابنه "جلال الدين"([14]) وأصحابه الآخرين الذين يمنعونه عن الخروج عن بلاده، ولكنهم لا يجدون منه أذناً صاغية، ويلقاه "جنكيز خان" مع جيوشه بين الجبال، فينهزم خوارزم شاه وأصحابه ويُولون الدُبر.

وفي الجانب الآخر يقبض "تيمور ملك" -ملك قوقند- على هذا الوفد والطاهر معهم، ويُقتل أولئك الرجال الثلاثة على التو بينما يُحكم على الطاهر بالشنق بعد أيام بأمر من "خوارزم شاه". يُغير التتار على تلك المنطقة و"الطاهر" على المشنقة، فيُطلق "تيمور" سراحه، فيفر "الطاهر" مع "تيمور" من تلك المنطقة، وفي الطريق تصادفه كتائب الجيش التتري إلا أنه ينجح في الوصول إلى قرية أفسدها التتار قبل أيام، فيختفي بها، وهنا يلتقي بفتاة باسم "ثريا" وأخيها "إسماعيل"، وهما من سلالة والي تلك المنطقة، والذي قُتل على أيدي التتار، فيقضي معهما في بيتهما أياماً، ثم يوصلهما الطاهر إلى بيت جدها في مدينة "بلخ"، وخلال هذه الأيام تنبت بينهما بذرة الحب التي تُصبح شجرة قوية أصلها ثابت وفرعها في السماء، فنظرًا إلى هذا الحب يعرض عليه الجدان أن يتزوج ب"ثريا"، فيقبل هذه الدعوة الحبيبة إلا أنه يؤجل الزواج إلى عودته من مدينة بغداد، ثم يتوجه صوب مدينة بغداد حيث يلتقي بأصدقاءه القدامى، ويتزعم حركة الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، ويُلقي الخطبات الحماسية المنمقة في مساجد مختلفة، يصف فيها ما ارتكب التتار في المسلمين من الفظائع والعظائم ويحضهم على الجهاد ويُشعل في أفئدتهم لهيب الثأر.

تؤثر هذه الخطبات في قلوب الناس تأثيرًا عميقا، فيستجيبون له وينسلون من كل حدب ملبين دعوته لقتال العدو وكل من يصدهم عن ذلك، وهذا ما يجعل الخليفة يُذعر منه، فيحكم عليه بالقبض والسجن، وإثر ذلك يُسجن في زنزانة ظلماء على ضفة نهر دجلة.

أما "جنكيز خان" فجيوشه تكون في تقدم مستمر إلى مناطق مسلمة، فتستولي على البلدان المسلمة المختلفة أمثال سمرقند وبخارا وتاشقند، ويفر "خوارزم شاه" ويأوي إلى جزيرة يختفي بها، فيتولى مقاليد الحكم ابنه الجريء الشجاع السلطان "جلال الدين" الذي يأخذ نواحي مدينة "مرو" مستقرًا له، فيبدأ يجتمع عنده المتضايقون من ظلم التتار من مناطق مختلفة حتى يصل عددهم إلى ألوف في بضعة أشهر.

وفي بغداد يكثر عدد أنصار "الطاهر" يوماً فيوماً، فيحكم الخليفة بالإفراج عنه خوفاً من كثرة عددهم، بينما يحاول المهلب بن داؤد – وزير الخارجية- أن يعطيه السم في الطعام إلا أن ذلك الطعام المسموم يأكله سجين آخر فيموت، ويقذف أصحاب "المهلب بن داؤد" "الطاهر" في النهر وهم يظنون أنه جثة لا حياة فيها، فيصل "الطاهر" إلى "صفية" ويجتمع بها سرًا على غرة من أهلها فتلح على الفرار والزواج بها، وهنا يخبرها الطاهر عن حبيبته "ثريا". إن الحب عجيب ولا يلد إلا العجائب، فها هي تأذن له الذهاب على أن لا ينساها طول حياته، وأنها مستعدة لقضاء الحياة كلها معهما كخادمة.

تحاصر الجيوش التترية ثغور "مرو"، وتفوز في فتح قلعتها بالشطارة والمكر، وكان من دأبها أنها لم تدخل قرية إلا أفسدتها ومزقتها كل ممزق، فتقتل رجال "مرو" وتحرق مكتباتها ومساجدها ومدارسها وتهتك أعراض النسوة على مشهد من بعولهم وتذبح أطفالها وتحرقهم وهم أحياء.

بعد فراره من مدينة بغداد يذهب "الطاهر" مع أصحابه الذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف صوب مدينة "مرو"، وبينما هو في الطريق إذ يصله خبر دمارها، فيغير اتجاهه إلى السلطان "جلال الدين"، ويجد "جلال الدين" وجيوشه محاصَرين من جميع الأطراف بواد ضيق، فيغير الطاهر على التتار من الخلف، وينتصر المسلمون.

وفي جيش السلطان "جلال الدين" يلتقي بـــ "تيمور ملك"، ومن هنا يذهبون إلى مدينة "غزني" حيث يجتمع عند "جلال الدين" الجنود في عدد كبير.

تُعجب "جلال الدين" كثرة جيوشه فيُرسل إلى "جنكيز خان" دعوة الحرب، فيرسل "جنكيز خان" جيشاً ردًا على ذلك، ولكنه ينهزم على أيدي المسلمين، فيدعو "جنكيز خان" عساكره من كل المواضيع ويخرج بنفسه مع عساكره ضد "جلال الدين"، وفي الجانب الثاني ينزغ الشيطان بين فؤاد "جلال الدين" بعد الفتح الأول، فيختلفون على اقتسام الغنائم وتقع التفرقة بين صفوف جيشه ويتشتت شملهم، فعندما تكشف الحرب عن ساقها تصبح الهزيمة نصيب "جلال الدين" وأصحابه.

يفر "جلال الدين" من ساحة القتال والعدو خلفه حتى يصل إلى نهر السند فيعبره ويقبض على القرى المجاورة، ثم يُرسل وفدًا مع "الطاهر بن يوسف" إلى ملك الهند "السلطان الإلتتمش"([15]) لمد يد العون والمساعدة إليه، وفي الهند يلتقي الطاهر بأسرة "ثريا" التي كانت قد هاجرت إليها بعد فتح "بلخ" ويحصل على بغيته فيتزوجها.

وبإيماء "الإلتتمش" يَذهب الطاهر إلى ولاة دول مسلمة مختلفة يحرّضهم على أن يجتمعوا على رصيف واحد ويصبحوا كتلة واحدة ضد التتار، ويبلغ فرح "جلال الدين" قمته عندما يحصل على رد إيجابي من قبل أهل بغداد فيسافر إليها،

وقبل وصوله إلى بغداد يصل وفد التتار إلى الخليفة تحت قيادة المهلب بن داؤد الذي يمنعه عن مساعدة "خوارزم شاه"، وإثر تهديدهم إياه يسحب الخليفة يده من مساعدة "جلال الدين"، كما أنه يُرسل جيشاً عبارة عن ثلاثين ألف جندي إليه لقتاله والقضاء عليه، إلا أن هذا الخبر يصل إلى "الطاهر" وأصحابه على يد "صفية" التي تُصاب بجروح شديدة في الطريق وتُستشهد، ثم يموت الخليفة "ناصر الدين" ويجلس على عرش السلطنة ابنه "الظاهر"([16])، فيُرسل "جلال الدين" مرة ثانية "الطاهر" إلى بغداد يستنجده، وبإيماء الخليفة يطوف "الطاهر" ببلاد مسلمة مختلفة من الشام ومراكش والأندلس لحث أهلها على الجهاد.

وفي الجانب الآخر يتقدم التتار إلى مدينة الموصل بعد غزوهم المدن الإسلامية المختلفة، وفي أثناء ذلك يموت الخليفة "الظاهر" ويأخذ مكانه الخليفة "المستنصر"([17]) الذي يرفض مساعدة "جلال الدين" الذي يكون في حاجة ماسة إليها لوصول الجيوش التترية إلى المناطق القريبة منه، فعندما يعرف ذلك "جلال الدين" الذي كان قد علق كل آماله على أهل بغداد والخليفة ينقطع خيط أمله، وينسى أن الرياح تجري أحياناً بعكس ما تشتهي السفن، فييأس من بغداد وبالتالي ييأس من روح الله، ويترك كل ما كان لزاماً عليه ويلوذ بالخمر والرقص فيدمنها، وفي يوم من الأيام يقصد الصحراء راكباً فرساً، ومنذ ذلك اليوم لم يعثر عليه أحد، وهكذا ينطوي ملكه ويُقطع دابره. فيا حسرة على أهل بغداد، إنهم أضاعوا "جلال الدين" وما عرفوا أي فتى أضاعوا.

أما "الطاهر" وأصحابه فإنهم يتوجهون تلقاء الهند وينضمون إلى جيش ملك الهند المستعد لمقاومة التتار، وبعد قضاء خمسة عشر عاماً في جيشه ينذر الطاهر حياته الباقية على خدمة الدين وتبليغه. وفي بغداد يصبح "المستعصم"([18]) خليفة لها، وفي السنة الثالثة من خلافته يهجم "هولاكو خان" على بغداد، والخليفة منهمك في شرب الخمر ومشاهدة رقص الحسان، فيذهب فوراً إلى طاغية التتار بالهدايا إلا أنه لا يقبلها ويأخذه أخذ عزيز مقتدر، فيقتل "المستعصم" وينهب ثروات بغداد ويقتل كل من فيها حتى لا يبقى فيها سوى الكلاب والطيور، فتصبح بيوت أهل بغداد خاوية بما ظلموا.([19]) وبهذا تنتهي القصة.

ملخص رواية: وا إسلاماه

إن رواية "وا إسلاماه" تشتمل على مئتين وثماني عشرة صفحة تقريباً، وعلى ستة عشر فصلاً، إنها تدور حول حياة الملك "قطز"([20]) -من مولده إلى موته- وتُلقي الضوء على كفاحه المستمر، ودفاعه للإسلام عن أعداءه التتار والصليبيين.

والقصة بالإيجاز أن السلطان "جلال الدين بن السلطان خوارزم شاه" الذي كان يستعد للهجوم على التتار -أعداء المسلمين اللد- يُخبره منجمه الخاص بعد أن ينظر في طالعه بأنه سيهزم أعداءه التتار أولاً ثم يهزمونه، وسيولد في أهل بيته غلام يكون ملكاً عظيماً، ويهزم التتار هزيمة ساحقة.

وبعد أيام قلائل تُولد عند جلال الدين بنت بينما تُنجب شقيقته ابناً، وأثناء ذلك تشتعل نار الحرب بينه وبين جنود التتار، وتُصبح بينه وبين هؤلاء سجالاً، فتارة يهزمهم وتارة أخرى يذوق ذائقة الهزيمة، حتى يأتي عليه ذلك اليوم النحس الذي يرى فيه أنه لا محيص من الموت أو الأسر، ويضطر إلى النفي، فيأمر بإغراق أهله في يم السند الذي يبتلع الأسرة كلها سوى هذين الطفلين اللذين ينجوان من مخالب الموت بسبب حيلة تحتالها أمّاهما، وبعد بُرهة من الزمن يستولي السلطان على بعض مناطق الهند ويحتلها، ويقضي أوقاته في حرب مستمرة مع التتار، وفي أثناء ذلك يختطف بعض أعدائه ذينك الطفلين اللذين

يكونان محط آماله بعد غرق الأسرة كلها، فيفقد وعيه، ويكاد يموت من الغم ويمتنع عن الطعام، وينسى ما كان لزاماً عليه من مقاومة التتار، فيلوذ بالخمر فيُدمنها، وبالتالي ينهزم، وأخيرًا يُقتل على يد كردي اختطف أولاده من قبل.

وفي الجانب الآخر يصير هذان الصبيان سلعة تُباع وتُشترى، فإنهما أولاً يُباعان لتاجر سوري، ويعيشان عنده مع غلام آخر اسمه "ظاهر بيبرس"([21])، ثم يُرسل هؤلاء الثلاثة إلى سوق الرقيق بمدينة "حلب" حيث يشتريهما "الشيخ غانم المقدسي" –رجل ثري من أهل دمشق- بينما يُباع العبد "بيبرس" لرجل مصري، ففي بيت هذا الرجل يقضيان سنوات ويترعرعان، كما يترعرع معهما الحب بينهما، وفي هذا البيت يُبالغ مولاهما الدمشقي في رعايتهما والحدب عليهما، ويعتمد على "قطز" أكثر من ابنه الوحيد "موسى" الخليع، ويسلمه مقاليد خزائنه، ويُسند إليه إدارة أمواله وأملاكه، وهذا ما يُثير حقد ابنه على قطز، فبعد وفاة "الشيخ غانم المقدسي" يفترق الحبيبان حيث يبيعهما "موسى"، فيشتري "جلنار" رجل مصري بينما يُباع "قطز" لرجل اسمه "ابن الزعيم".

وفي بيت سيده الجديد يلتقي "قطز" بالشيخ "ابن عبد السلام" الذي يراسل الملك الصالح "نجم الدين أيوب" – ملك مصر-([22]) ويحضه على تطهير بلاد الشام من الصليبيين، لأن الملك الصالح "عماد الدين اسماعيل"([23]) والي الشام في ذلك الحين كان مع الإفرنج أعداء الإسلام، فيقبل دعوته الملك أيوب ويجهز الجيش لقتال "إسماعيل"، و"إسماعيل" هو الآخر الذي يُدرك الخطر فيستنجد من الإفرنج وغيرهم، كما أنه يُلقي الشيخ "ابن عبد السلام" في السجن إثر تلك الخطبة للجمعة التي يخطبها ضد "إسماعيل"، إلا أنه لا يستطيع أن يجعل الشيخ في السجن لمدة طويلة، وذلك بسبب كثرة أتباعه وشيعته الذين يبدأون إغتيال الإفرنج –حلفاء الملك- حيثما يجدون، فيفرج عنه الملك "إسماعيل" وينفيه إلى مصر حيث يرحّب به والي مصر.

ويريد "قطز" الذهاب إلى مصر، ولكنه يبقى في بلاد الشام بأمر مولاه ويتوظف في جيش "إسماعيل" الذي كان يستعد لقتال جيش الملك "أيوب". وعندما يلتقي الجيشان يُلقي "قطز" خطبة بليغة فصيحة، تؤثر في القلوب والأذهان معاً، فيترك جم غفير من جنود "إسماعيل" جيشه وينحاز إلى جيش الملك "أيوب"، وينتصر المصريون.

وبعد أن يسمح له مولاه يقصد "قطز" مصر، فيُباع للملك "صالح أيوب" الذي بعد وقت قليل يهبه لـ"عز الدين ايبك الصالحي"([24]) –أحد أمراء مماليكه الأثراء عنده- وهنا يلقى قطز صديقه القديم "بيبرس" الذي يعمل عند "فارس الدين أقطاي" -أحد أمراء المماليك الأثراء –([25]) ولا تكون بين "عز الدين ايبك وفارس الدين" علاقة صداقة، على كل حال يختلف "قطز" كثيرًا إلى قلعة الجبل التي يعيش فيها الملك "صالح الدين أيوب"، لأنه يُفوّض إليه أن يذهب ببريد "عز الدين ايبك" إلى الملك، وفي قصر الملك يجد "قطز" حبيبة قلبه "جلنار"، فتتوالى اللقاءات السرية بينهما على غرة من أهل قصر، ولكن سرعان ما تعرف هذا السر الملكة "شجرة الدر"([26]) التي تمنعهما عن اللقاء، كما يُصد "قطز" عن الذهاب إلى قصر الملك.

يستمر الملك "صالح أيوب" في الهجوم على بلاد الشام حتى يستولي على دمشق _ عاصمة البلاد- ويفر "إسماعيل" من ساحة القتال، وبعد برهة من الزمن يُصاب الملك "صالح أيوب" بمرض فيذهب إلى دمشق مع ملكته "شجرة الدر" تاركاً مصر عملاً بنصيحة أطباءه، وتصاحب الملكة وصيفتها "جلنار"- حبيبة بطلنا-، وعندما يعلم الصليبيون أن المرض قد أضنى الملك ينتهزون الفرصة ويبدأون من جديد إعداد ما يستطيعون للإغارة على مصر، والملك

"صالح أيوب" هو الآخر الذي يصل إليه خبر تجهيز الصليبيين وإعدادهم، فيترك دمشق قاصدًا مصر، وينزل في موضع باسم أشمون طناح "أشمون الرمان" وهنا تصل أساطيل الإفرنج، وبينما تكون الحرب على قمتها يموت الملك "صالح"، فامتثالاً لوصية الملك -الذي يوصي قبل موته "شجرة الدر" -زوجته- ومن يثق بهم من رجاله أن يكتموا موته حتى يقدم ابنه "توران شاه"([27]) من قلعة كيفا- تصبح الملكة حاكمة للبلاد، إلا أن خبر موته لايبقى سرًا لوقت طويل، فيبدأ الإنجليز يكرون على المسلمين بشدة أكثر، وكرة تلو الأخرى، ويخوض المسلمون في معارك شديدة، وأخيرًا ينتصرون على أعدائهم، وخلال هذه الحروب الصليبية يعود "توران شاه" إلى القاهرة، ولا تلبث الملكة و"توران شاه" أن تقع بينهما العداوة، فيُقتل "توران شاه" بأيدي موالي أبيه، وتجلس "شجرة الدر" على أريكة السلطنة بمساعدة أتابكها "عز الدين" وغيره من المماليك.

ولا تمضي أيام كثيرة على إعلان ملكها حتى أن الملك "الناصر"([28]) صاحب مدينة حلب يُعلن أنه سينتقم من "شجرة الدر" ويثأر لنسيبه الملك "توران شاه" من قتلته من الأفراد المماليك، فتنزل الملكة من عرشها لأتابكها ومقدم عسكرها الأمير "عز الدين ايبك" وتوليه مقاليد الحكم، ولكن بعد أيام قليلة تبدأ أصوات الناس ترتفع قائلة: ما نبغي مملوكاً يتولى علينا بل نريد سلطاناً من آل أيوب، فلخفضها يُجلس "موسى ابن الملك مسعود"-ابن ست سنوات- على عرش السلطنة، إلا أن الحكومة لا تزال مقاليدها بأيدي الملكة و"عز الدين ايبك" الملقب بالملك "المعز".

وكان كل من "فارس الدين أقطاي" و"عز الدين ايبك" يريد بعد وفاة الملك أن يتزوج الملكة "شجرة الدر"، وهذا ما يوقع النزاع بينهما، والملكة هي الأخرى التي تطوع لها نفسها أن تلعب بكليهما بكل شطارة فتلعب، وأخيرًا تتزوج "عز الدين ايبك". فللزواج بالملكة يُلقي "عز الدين الملك" موسى ابن الملك مسعود في السجن بإيمائها، وهذا ما يجعل "فارس الدين أقطاي" يستشاط غضباً، فيُصاهر "الملك المظفر"([29]) ويطلب من الملكة ترك قلعة الجبل لأن بنت الملك أحق بها، فتدعوه الملكة "شجرة الدر"، وهي تخدعه، إلى القلعة حيث يقتله "قطز". وبعد قتله "فارس الدين اقطاي" تُزوج الملكة "قطز" حبيبته "جلنار".

وبعد زمن قصير ينشب الاختلاف بين الملكة "شجرة الدر" وزوجها بسبب زوجته الأولى وابنه، فيقتله جماعة من خدم الملكة امتثالاً لأمر "شجرة الدر"، وهذا ما يُغضب مماليك "عز الدين ايبك"، الذين يقبضون على القصر ويملكون "نور الدين علي" الملقب بالملك "المنصور ابن الملك المعز" عليه([30]) -والذي كان عمره خمس عشرة سنة- ويُعيّن "قطز" نائب السلطنة وتُقتل "شجرة الدر". وفي الجانب الثاني يرفع لواء القتال والانتقام المملوك "بيبرس" بعد قتل مولاه "فارس الدين اقطاي" فيجهز "قطز" عسكرًا لقتاله ويهزمه.

والتتار بقيادة طاغيتهم الجديد "هولاكو"([31]) يقصدون البلاد الإسلامية، فيسومون أهلها أشد العذاب، فيقبض الأمير "قطز" على "المنصور" وأخيه ويعلن نفسه سلطاناً ويجلس على سرير الملك ويتلقب بلقب الملك المظفر، ويعود إليه "بيبرس" معتذرًا، فيقبل اعتذاره الملك المظفر ويجعله من مقربيه.

يبدأ الملك المظفر تجهيز جيشه بكل ما يمتلكه من الوسائل لمقاومة ألد أعدائه التتار، ويلتقي الجمعان، فيبلي المسلمون بلاء حسناً، ويقتلون قتالاً عنيفاً، وفي هذه المعركة تستشهد "جلنار" زوجة الملك وتنتهي المعركة والنصر حليف للمسلمين، ثم تتبع جنود المسلمين التتار حتى يطردونهم من البلاد الإسلامية كلها، ويصبح الملك قطز ملكاً عظيماً يتولى ملك مصر وبلاد الشام، إلا أنه يحزن شديدًا على وفاة زوجته وحبيبته الأولى والأخيرة "جلنار"، فيعزم على ترك السلطنة

وجعل صديقه القديم "بيبرس" يتولى زمامها، وأثناء ذلك يطلب بيبرس من الملك أن يعطيه نيابة "حلب" وأعمالها ولكنه يرفض عن إعطاءه إياها، لأنه كان قد أراد أن يعطيه ما هو أكبر من نيابة حلب بكثير، ولكن رفضه يجعل الأمير بيبرس يغضب غضباً شديدًا على السلطان ويضطرم حقدًا عليه وهو يظن أن الملك لن يعطيه شيئاً، فيكيد لقتل الملك مع جماعة من أصحابه، حتى يقتله ويتولى زمام الأمر، وبهذا تنتهي القصة.

وأبرز ما توصلت إليه من أوجه التشابه والاختلاف بعد دراسة هاتين الروايتين كالتالي:

أوجه التشابه:

1. بدأ كلا الكاتبين روايته بمقدمة أخبر بها عن موضوع روايته بالاختصار.
2. استخدم كل واحد منهما في روايته الألفاظ الأليفة التي تعودتها الآذان، واختار العبارات المأنوسة التي ألفتها الألسنة، ولم يستخدم أحد من الكاتبين الكلمات المستعصية.
3. إن الأدب الذي أنتجه قلم كليهما يجري بسلاسة ويخلو من التكلف والتعقيد، فلذا يتميز أسلوبهما بالبساطة والسلاسة كأنه السهل الممتنع.
4. استخدم علي أحمد باكثير اللغة العربية الفصحى في الرواية ولم ينزل إلى اللغة العامية أو اللغة الدارجة، لا في السرد ولا في الحوار، ويماثله في ذلك نسيم حجازي حيث أنه أيضا لم ينزل من الأردية إلى اللهجات المحلية.
5. كلاهما تناول في روايته كثيرا من الأساليب البلاغية من التشابيه والكنايات والاستعارات والأمثلة الشعبية وغيرها.([32])
6. استخدم كل واحد منهما صنعة التكرار في روايته حيث أن كليهما قد كرّر في بعض الأحيان تركيبا أو كلمة أكثر من مرة لإبراز خيال أو فكرة في الكلام، فنرى علي أحمد باكثير يُكرّر صيغا مختلفة تنبثق من أصل واحد، مثل كلمة "القبلة" و"القبلات" و"التقبيل" إلى غير ذلك، قد استخدمها باكثير أكثر من ست عشرة مرة في صفحتين([33]) كما نرى تركيب "الأستاذ بعد التلميذ" عند نسيم حجازي أكثر من عشر مرات في صفحتين.([34])
7. اختار كلا الكاتبين أحداث روايته من فترة تاريخية من أهم فترات الكفاح الإسلامي ضد المغول القادمين من الشرق، والصليبيين القادمين من الغرب، كما تدور الروايتان حول الأحداث التي وقعت في كل من شبه القارة الهندية وبلاد الشام ومصر. ([35])
8. كل واحد منهما أشار إلى ذلك النزاع الذي وقع بين قواد جلال الدين على اقتسام الغنائم بعد انتصارهم على جيش ابن جنكيز خان في معركة كابل، وذهاب ريحهم وتشتت شملهم بذلك.([36])
9. تدور رواية "وا إسلاماه" حول "محمود" و"جهاد" أو "قطز" و"جلنار" وهما شخصيتان أساسيتان، حاك حولهما علي أحمد باكثير نسيج روايته، ومما لا شك فيه أن التاريخ موضوع جاف، يتعب القارئ بعد قراءة بضع صفحات منه، وللبعد بالقارئ عن هذا السأم والتعب وضع المصنف فيها حلاوة الحب العفيف بين "قطز" و"جلنار"، وهذا الحب يصاحب القصة من البداية حتى النهاية، وكذلك نرى في "الصخرة الأخيرة " أن بطلها "طاهر بن يوسف" تحبه امرأتان "ثريا" و"صفية"، وقد تفنن الكاتب في ذكر هذا

الحب بعض التفنن، إلا أن النصيب للحب في هذه الرواية أقل من نصيبه في "وا إسلاماه".

10. هناك تشابه كبير بين بطلي الروايتين في الأخلاق والصفات، فكلاهما رجل متواضع، يشاطر الناس أفراحهم وأتراحهم، وآلامهم وهمومهم، عفيف في الحب، صادق في القول، كما أن كل واحد منهما موف بالعهد، شجاع، قوي القلب، خائض غمرة، غير مكترث بالرزايا، متمسك بأهداب الأمل والتفاؤل حتى في أضيق اللحظات، متحل بالصبر الجميل، وكاظم الغيظ، وعاف عن الأعداء، وبعيد عن الحقد والبغض والحسد ...

11. وكذلك هناك تشابه كبير بين صفية وثريا – بطلتي رواية الصخرة الأخيرة- وجلنار –بطلة رواية "وا إسلاماه"-، كل واحدة منهن شجاعة قوية القلب، وفية للبطل، ذات حياء، كما أن كل واحدة منهن تجاهد في سبيل الله وتخرج إلى ميدان القتال.

12. إن "جلنار" زوجة البطل في رواية "وا إسلاماه" تُستشهد في نهاية الرواية،([37]) وهكذا تُستشهد "صفية" حبيبة البطل في رواية "الصخرة الأخيرة"([38]).

13. إن "يوسف بن الظهير" والد البطل في قصة "الصخرة الأخيرة" يُستشهد في بداية الرواية، وهكذا يُستشهد "الأمير ممدود" والد البطل في بداية رواية "وا إسلاماه".

14. ينشأ البطل في كل من القصتين في أحضان الآخرين بلا أب وأم، أما قطز- بطل قصة "وا إسلاماه"- فوالده يموت في حرب من الحروب ووالدته تغرق في اليم، فيتربى أولاً عند خاله، ثم عند "الشيخ غانم المقدسي" من أهل دمشق، كما نرى "الطاهر" –بطل قصة "الصخرة الأخيرة"- يستشهد والده في حرب "صلاح الدين الأيوبي" التي كانت لفتح يروشلم، وتموت والدته قبل وفاة والده، فيترعرع في بيت صديق والده "الشيخ أحمد بن حسن".

15. تهم كل واحد من الروائيين سيرة البطل أكثر من صورته، فلذا لم يحاولا إبراز ملامحه الخارجية من طول قامته أو جمال وجهه أو بياض لونه أو اتزان جسده وغير ذلك من الأمور.

16. يضرّك الواشي الذي يتظاهر الصداقة معك أكثر مما يضرك عدوك الصريح، وقد أشار إلى هذه الحقيقة كل واحد من الكاتبين في أكثر من مرة في روايته، فعلى سبيل المثال هذا "بيبرس" يقتل "قطز" بسبب هؤلاء الوشاة في "وا إسلاماه"، وكذلك ينال "مهلب بن داؤد" النمام –في قصة "الصخرة الأخيرة" - مكانة سامية عند الخليفة مستخدما هذا الأسلوب، فيضره.

17. إن شخصية "القاسم" ابن افتخار الدين –رئيس الوزراء في بغداد- بقصة: "الصخرة الأخيرة" تماثل شخصية "موسى" ابن غانم المقدسي بقصة "وا إسلاماه" إلى حد كبير حيث أن "القاسم" رجل خليع، وبعد انهزامه على يد "الطاهر" يضطرم عليه حقدًا، فيُلقيه أولاً في السجن، ثم يحاول قتله بإعطائه الطعام المسموم، كما أن "موسى" يبغض "قطز" بعد أن يرى والده يعتمد عليه أكثر منه، فيبيع قطز بعد وفاة أبيه كما يفرقه عن حبيبته.

18. ومن العجيب أننا نجد كلا من "القاسم" و"موسى" يترادف مع الآخر من ناحية أخرى أيضا، وهي ناحية الحب، فالقاسم في "الصخرة الأخيرة" يحب "صفية" -حبيبة البطل "الطاهر"- ومن أجلها يفعل بالبطل الأفاعيل، وكذلك

يحب "موسى" في "وا إسلاماه" "جلنار" –حبيبة البطل "قطز"- ومن أجلها يؤذي البطل ويضايقه.

19. ذلك العصر كان عصر اللسان، فالعلماء كانوا يُشعلون في قلوب الناس النار بسبب خطبهم البليغة، وقد ألقى الضوء كل واحد من الكاتبين على هذا الأمر نظرًا إلى أهميته، ففي قصة "الصخرة الأخيرة" يُسجن "الطاهر بن يوسف" بسبب تلك الخطب التي يُلقيها أمام الجموع وهو يحرضهم على الجهاد، كما أن الشيخ "ابن السلام" في "وا إسلاماه" يُساق إلى السجن بسبب تلك الخطبة للجمعة التي يخطبها ضد الملك "صالح إسماعيل". والجدير بالذكر أن كل واحد منهما يُفرج عنه بسبب أتباعه الذين يكونون في الكثرة.

20. مع أن كل واحدة من هاتين الروايتين عالجت تلك الفترة التي تُعد من أصعب الفترات وأقساها في التاريخ الإسلامي إلا أنهما تفيضان رجاء وأملا، وتضربان ضربا قاسيا على السأم واليأس، فها هي شخصيات رواية "الصخرة الأخيرة" مع معاناتها أخطر لمحات حياتها تتواصى بعدم اليأس: "لا يجوز لرجل متوكل على الله إلى هذا الحد أن ييأس من رحمته"([39]) و"ليس من شأن المسلم القنوط"([40]) وهذا "ممدود" –والد البطل "قطز"- يخاطب جلال الدين عندما يراه يميل إلى اليأس فيقول له: "إنك ابن خوارزم شاه،... وما يكون لك أن تيأس من هزيمة عدوه وطرده من بلاد رعاياه... ومن يدري لعل الله ينصر بك الإسلام والمسلمين، ويجعل نهاية الأعداء على يديك." ([41])

21. كل واحد منهما رائد الأدب الإسلامي في بلدته، فلم يقتحم أحد منهما أبواب المحرمات والفواحش، كما لم يتورط أحد منهما في موضوعات المراهقين من ذكر الوقائع الجنسية وتصويرها، والتي يقوم بها الأدباء أصحاب الأدب المكشوف في عصرنا من أجل أن يكثر عدد قراءهم.

22. كل واحد منهما نقل نصوص تلك الخطب التي ألقاها شخصيات القصة في مواقع مختلفة، وقد اختار كل واحد منهما هذا الأسلوب لكشف الستار عن كثير من القضايا الاجتماعية والدينية.

23. كل واحد منهما نقل نصوص الرسالات التي كتبها بعض شخصيات القصة إلى بعضها. ([42]) إلا أن نصيبها أكثر في رواية "الصخرة الأخيرة".

24. إن التنجيم والضرب للرمل والقراءة في الكف كانت على قمتها في تلك الأيام، وإلى هذا الجانب أشار كل واحد من الكاتبين، أما رواية "وا إسلاماه" فنرى بها جلال الدين الخوارزمي مولعاً باستطلاع النجوم، إنه يستشير المنجمين كلما يهم بأمر عظيم، وعندما يريد المسير لقتال التتار يبعث إلى منجمه الخاص فيحضر عنده، وينظر في طالعه، فيقول له: "إنك يا مولاي ستهزم التتار ويهزمونك، وسيولد في أهل بيتك غلام يكون ملكاً عظيماً على بلاد عظيمة، ويهزم التتار هزيمة ساحقة"([43]) كما نرى "زيدًا" –شخصية من شخصيات القصة- في قصة "الصخرة الأخيرة" يذهب إلى المنجم ويستفتيه عن أحوال –الطاهر بن يوسف- الشخصية المركزية للقصة. ([44])

25. إن الإسلام يمنع المسلمين عن الذهاب إلى المنجمين والضاربين للرمل والقارئين في الكف، الذين ينظرون في طالع الناس. ولأن كل واحد من الكاتبين مؤمناً حقاً، ولا يريد من قارئه أن يوقنوا بخرافاتهم إثر قراءة مثل هذه القصص. إنهما ولو ذكرا التنجيم في قصتيهما إلا أنهما على التو أثبتا أنه ضرب من الخيال لا علاقة لها بالحقيقة كما حاولا إبراز جانبه السيء، على

سبيل المثال أنظروا إلى هذا الحوار الذي يدور بين "الطاهر بن يوسف" و"زيد" في قصة: "الصخرة الأخيرة" حيث يقول زيد:

(زيد): استفتيتُ منجماً عنك بالأمس. (الطاهر): ماذا قال؟ (زيد): إن لقيني ذلك الكاذب الخادع الشاطر مرة أخرى لخطفتُ منه كل كتبه ورميتُ بها في النهر. (الطاهر): ماذا قال لك؟ (زيد): عليه اللعنة. إنه قال: حظك ليس بسعيد في هذه الأيام، أنت في قيد التتار، ولا ترجع إلى بلدتك إلا بعد أن تتحسن أحوال نجمك، وأحوالك لا تتحسن إلا بعد سنة، أعطيت ذلك اللعين خمسة دنانير. إنه جاء بهذاء كثير من مثله....(طاهر): ماذا قال أيضاً؟ (زيد): قال: "إن أميرة تتارية سوف تقع في حبك، وهي تسبب لك النجاة من سجن التتار، إن قابلته غداً لأضربنه ضرباً لا ينساه طول حياته"([45])

أما علي أحمد باكثير فنراه يقول على لسان "ممدود"، وذلك عندما يخبر المنجم السلطان جلال الدين عن طالعه:

"يا هذا لا يعلم الغيب إلا الله، وإنما جئنا بك لتبشر السلطان لا لتخوفه، وليس السلطان بمن يخاف من تنبؤاتك"... و "أنهم (المنجمون) ليسوا إلا دجّالين يدعون معرفة الغيب بما أوتوا من براعة وفطنة في تبين أحوال من يستفتيهم، وتقصي أسراره ودخائله. وعلى قدر هذه الفطنة والبراعة يوفقون إلى إصابة الحقيقة في تنبؤاتهم وتخرصاتهم"... "وجعل يورد وقائع من التاريخ كذبت فيها تخرصات المنجمين، ومن أبرزها ما اتفق للخليفة العباسي المعتصم بالله لما أراد أن يسير لفتح عمورية من بلاد الروم، فنهاه المنجم عن السير في ذلك اليوم لأن الطالع لم يكن في صالحه، وأنذره بالهزيمة، فلم يؤثر ذلك في عزم الخليفة، وضرب بكلام المنجم عرض الحائط، وتوجه ليومه ذاك فكسر جموع الروم وفتح عمورية"([46]).

26. للرؤيا نصيب في كل واحدة من هذه الروايات، فنجد في كلتيهما شخصيات مختلفة تخبر الآخرين عن رؤياها وتستنتج منها.([47])

27. حاول كل واحد منهما إبراز التناقض الموجود في أقوال ممثلي الحكومة وأصحابها وسلوكهم، إنهم يفعلون خلاف ما يقولون، ولا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية.([48])

28. تناول نسيم حجازي شخصية السلطان "جلال الدين" رمزاً لسلطان متمسك بالحق، ويراه القارئ في قتال مستمر مع قوات الباطل والتتار، يكر عليهم ليل نهار ويخلص المسلمين الضعفاء من براثنهم ولا يخاف في ذلك لومة لائم، كما لا يبالي بالأحوال السيئة والظروف القاسية وقلة عدد تابعيه، فتلوح شخصيته أمام أعين القارئ وكأنه خليفة الله على الأرض، وينظر إليه نظرة تقدير واحترام وإجلال، وهذه الشخصية المقدسة المباركة تهز كيان القاري وتصيبه بصدمة وذلك عند ما يراها فجأة تنقلب على عقبيها، هذا السلطان كان يرجو من خليفة المسلمين ببغداد أن يمد إليه يد العون في صورة إرسال الجنود إليه لمحاربة التتار، ولكنه يُصاب بمثل صاعقة عندما يرفض الخليفة مساعدته فييأس من خليفة المسلمين الذي كان محط آماله، وبالتالي ييأس من روح الله كذلك، ويرى نفسه غير متحمل لهذه الصدمة، فيلجأ إلى الخمر فيدمنها وإلى محافل الرقص والسرور فيغرق فيها. وينسى كل ما كان لزاماً عليه من نصرة المسلمين ومساعدتهم.([49])

ونفس الشيء نجده عند باكثير في روايته "وا إسلاماه"، فالملك جلال الدين بن خوارزم شاه الذي نراه في بداية القصة يفقد كل ما يمتلكه من النسوة والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث في الحروب ضد التتار ويتحمل متاعب السفر والنفي، ولكنه يرتدي رداء الصبر، ولا يمنعه ذلك كله عن الوقوف ضد التتار إلا أنه عندما يسمع باختطاف بعض أعداءه لابنته وابن أخيه اللذين كانا بقية أسرته، ولا يعثر عليهما، يفقد عقله ويبدأ يشرب الخمر وينسى كل شيء.([50])

29. كلاهما وجه نقدا لاذعا إلى رجال الدين الذين لا تهمهم إلا أهدافهم الشخصية، إنهم ينهبون العوام الساذجين باسم الدين والشرع، ويلعبون بمعتقداتهم، وبسبب هؤلاء العلماء –علماء السوء- يتفرق الناس ويضرب بعضهم أعناق بعض.([51]) وقد رأينا في كلتي الروايتين أن معظم هؤلاء العلماء وفقهاء السوء يتمشون مع أصحاب السلطة والمال، يتكلمون ما يُرضيهم ويحمون مصالحهم، فهؤلاء الفقهاء في طمع دراهم معدودة –في الصخرة الأخيرة- يُفتون أن التتار قد اصطفاهم الله سبحانه وتعالي ووهبهم سُلطة في بقعة واسعة من الأرض، فالوقوف ضدهم هو بمثابة الخروج والوقوف ضد رضا الله.([52]) كما نرى جماعة من فقهاء السوء في "وا إسلاماه" يُبطلون وصية الشيخ غانم المقدسي بصدد عتق البطلين والأملاك التي أوصى بها لهما.([53])

30. كل واحد منهما ذكر قصة شرب خمر السلطان "جلال الدين" في آخر حياته وبفقد وعيه.

31. كلاهما تناول الطبقة العليا للمجتمع أو حياة الأثرياء وحبهم للمال وكرههم للجهاد، وكَشَفَ عن العيوب الموجودة فيهم([54]) إنهم يجمعون المال ليل نهار، ويفرون من كل ما يسبب الضرر لمصالحهم المالية، فها هو "قطز" يستشيرهم في أمر "هولاكو" وجنوده، فيشير "معظمهم أن يرسلوا إلى هولاكو جواباً لطيفا يتقون به شره، ويخطبون به وده، ويتفقون معه على مال يؤدونه جزية إليه كل سنة لئلا يهجم على بلادهم فيهلك الحرث والنسل..."([55]) كما نجد نسيم حجازي في "الصخرة الأخيرة" يكشف عن نفسية هؤلاء الأثرياء على لسان جد "صفية" التاجر الثري في "الصخرة الأخيرة".([56])

32. كلاهما تناول في روايته موضوعات الحياة البشرية من الأسرة من البيت من الاجتماع من السياسة من الجيران من الحب الإنساني من حب الحيوان من حب الطبيعة من الحب الإلهي من حب محمد من حب الحرمين الشريفين وغيرها، وذلك خلال تناول الفترات المختلفة من حياة البطل.

33. كلاهما تناول سلوك أولئك الذين يكون لهم وجه في حالة، ووجه في حالة أخرى، ينسون لأنفسهم كل القوانين والأصول والمبادئ، ويفعلون ما يريدون، ولكن عندما ينظرون إلى الآخرين يُلقون عليهم نظراتهم بمنظار آخر.([57]) فها هو "موسى الخليع السكير" عندما يرى "قطز وجلنار" يتعانقان وقت الفراق يستشاط غضبا فيخاطبهما قائلا: "افترقا يا خائنان! أرسلها أيها العبد اللئيم".([58])

34. كلاهما تناول التفاوت الطبقي والتناقض الموجود في المجتمع في ذلك الزمن وعرض مظاهرهما خلال تناول أحداث الرواية.([59])

35. كلاهما تناول نفسية الملوك والخلفاء في ذلك الزمن وسلط الضوء عليها، فها هو خليفة بغداد في رواية "الصخرة الأخيرة" يفضل مجالس اللهو والغناء

وقرض الشعر على ميدان السيف والمبارزة،([60]) ولا يرى حرجا في خداع رعيته وتسفيههم، ونفس الشيء نجده عند كثير من الملوك في "وا إسلاماه".

36. كلاهما سلط الضوء على تلك العيوب التي توجد في ذلك الزمن من الرياء والجهل والرشوة والانتهازية والخيانة والحسد والتملق والبغض والطبقية والمحاباة والفساد في المجتمع، وقام بضرب قاس عليها، على سبيل المثال يقول أحمد بن حسن (شخصية الصخرة الأخيرة): وهو يرد على موظف تركي: "أعُدّ الجهالة جرما صالحا للعفو، ولكن لا أرى التظاهر والرياء صالحا للعفو"([61]) وكذلك لا تحب "صفية" ابن عمها "القاسم" لأنه كان شاربا للخمر كاذبا ظالما وخائنا وجبانا.([62]) وحال "موسى" في قصة "وا إسلاماه" لا تختلف عن حال "القاسم"، إنه أيضا سكير وجبان وعاص لوالديه، فها هي أمه تدعو عليه قائلة: "لعن الله ابني فشد ما عذبني وآذاني. يا ليتني عقرت فلم أحمل به، أو ليتني إذ حملت به أسقطته".([63])

37. مع معالجة الوجه السيئ لذلك المجتمع كلاهما حاول أيضا إبراز الخصائل الحميدة الموجودة في ذلك الزمن خلال تناول أحداث التاريخ.

38. إن كل واحد من الكاتبين قد جعل بعض الشخصيات التاريخية شخصيات قصته، إلا أن نصيبهم أكثر في قصة "وا إسلاماه" بالنسبة إلى قصة "الصخرة الأخيرة"، فالملك قطز وعلاء الدين وجلال الدين وبيبرس وشجرة الدر وفارس الدين أقطاي والملك المعز وتورانشاه والملك الناصر وغيرها كلها شخصيات تاريخية.([64])

39. كلاهما جعل السياسة والساسة موضوع الرواية وكشف الستار عن ما يقومون به من الكيد والمكر والخداع، فها هي حكومة بغداد تخدع الطاهر وأصحابه في قصة "الصخرة الأخيرة" عندما ترسله إلى جنكيز خان، فإنها في خطابها إلى جنكيز تهدده بأنها تُساعد خوارزم شاه في صورة هجوم جنكيز خان عليه،([65]) إلا أنها سرا توقنه أن الحكومة البغدادية لا تفعل ذلك عند هجومه على خوارزم شاه ([66]) وكذلك يتظاهر الخليفة أنه يُطلق سراح "الطاهر" -بطل القصة- الذي يكون معتقلاً، إلا أنه سرا يؤامر لقتله([67]) وهذا الخداع نجد عند كل واحد من "الملك المعز" و"بيبرس" و"شجرة الدر" وغيرها من شخصيات رواية "وا إسلاماه" فها هو الملك المعز يدعو "فارس الدين أقطاي" إلى قصره ليستشيره في أمور الحكومة ويقتله بخداع، ثم تقتل "شجرة الدر" الملك المعز بكيد ومكر.([68])

40. كل واحد منهما حاول أن يُثبت على لسان شخصيات القصة أن العمل له أهمية أكثر من القول، فها هو نسيم حجازي يقول على لسان شخصية: "إنه (جنكيز خان) يعرف أن الأعمال هي التي تقرّر مصير الشعوب لا الأقوال".([69]) كما أنه يقول في مقدمة هذه الرواية:

> إن الكلمات التي لا يكون ورائها سيف لشد أزرها لا تكون في وسعها أن تغير قدر أمة، وإن القلم الذي لا يعرف السباحة في الدم لا يستطيع أن يترك نقوشاً ثابتة على صفحات التاريخ.([70])

وكذلك نجد "قطز" -بطل قصة وا إسلاماه- يقول لـ "بيبرس" عندما يحاول الثاني أن ينتصل مما عزى إليه: "لا تنكر ذلك بالقول يا بيبرس، ولكن أنكره بفعلك" ([71])

41. كلاهما جعل الحرب موضوع الرواية وتناول تلك القضايا والمشاكل التي تسببها الحرب مثل هلاك الحرث والنسل، والجوع، وفقد الأحباء، وهتك الأعراض وغيرها.

42. كلاهما يرفض مبدأ "الفن للفن" ويؤمن بمبدأ "الفن للحياة"،([72]) ولذا نرى أن هدف كليهما وراء الكتابة حول هذا الموضوع ليس مجرد توفير أسباب التسلية أو اللهو لقرائها، بل جعل كل واحد منهما روايته أداة لبث الأفكار الإسلامية الصحيحة في أذهان الناشئين.

43. بسبب ارتباطهما بمبدأ "الفن للحياة" أراد كل واحد منهما أن يربط ماضي المسلمين بحالهم وأمسهم بيومهم، وأن ينبه قراءه إلى أن مصيرهم لا يختلف عن مصير أصحاب بغداد لولا يتعظون بمصيرهم ويعتبرون بأعمالهم، فها هو نسيم حجازي يقول في المقدمة:

> "إن رواية "الصخرة الأخيرة" مرآة لماضينا، وفي وسعنا أن ننقد حاضرنا في هذه المرآة ونُحسن مستقبلنا، وإلا فالتاريخ شاهد على أن الفطرة لا تتسامح أخطاء سياسية لشعب".([73])

أما علي أحمد باكثير فإنه يقول على لسان "جلال الدين":

> "عجبا ما أجهل الإنسان يقرأ من أخبار الماضين وما حاقت بهم من صروف الدهر، وحلت بساحتهم من المثلاث، ما فيه عبره له، وتبصرة بما ينفعه وما يضره، فلا يتعظ بذلك، ويتمادى في باطله حتى يكون هو نفسه مضرب العظة "([74])

أوجه الاختلاف

44. إن الفرق الأساسي بين هاتين الروايتين هو اختلاف الحجم، فحجم رواية "الصخرة الأخيرة" أكثر من ضعف حجم رواية "وا إسلاماه" فالأولى تشتمل على خمسمائة واثنتي عشرة صفحة بينما تحتوي الثانية على مائتين وثماني عشرة صفحة، وهذا الفرق الرئيسي يُسبب فروقًا كثيرة بين هاتين الروايتين من ناحية الموضوع والحبكة والسرد والحوار وتناول الأحداث وغيرها من الأمور.

45. قد قسم باكثير روايته إلى ستة عشر فصلا بدون ذكر عناوين هذه الفصول، بينما قسم حجازي روايته إلى أربع وعشرين عناوين تحت ثلاثة أبواب، وذلك بدون ذكر كلمة "فصل".

46. إن كاتب رواية "وا إسلاماه" شاعر أيضا، فلذا نجد لغته تميل إلى السجع في بعض الأحيان.

47. زيّن باكثير عباراته بكلمات وتراكيب قرآنية، وأكثر الاقتباس من القرآن الكريم، وأنا لا أبالغ إذا قلت إنه لا يضارعه أحد من الأدباء المعاصرين في هذا المضمار، ففي بعض الأحيان نجده يستخدم تراكيب قرآنية في كل سطر، على سبيل المثال انظروا إلى السطور التالية:

> "وأحسوا كأنهم خلق آخر غير ما كانوا، وأنهم يعيشون في عصر غير عصرهم ذاك-في عهدمن عهود الإسلام الأولى حين كان الصحابة رضوان الله عليهم يلبون دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، فينفرون خفافا وثقالا، يجاهدون معه

المشركين، ويبتغون إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة، حتى يجعلوا كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا"([75])

فالجمل التي تحتها خط مأخوذة من آيات قرآنية مختلفة. بينما لا نجد تركيبا قرآنيا في رواية "الصخرة الأخيرة" سوى "إنا لله وإنا إليه راجعون" وذلك ثلاث مرات ثنايا الكتاب.([76]) إلا أننا نجد فيها بعض التعبيرات الأردية التي تأتي منها رائحة القرآن، على سبيل المثال عندما قرأت السطر التالي ما فحواه: "كانت آية المؤمنين في الماضي أنهم كانوا يتحولون إلى بنيان مرصوص وقت قتالهم الكفار"([77]) جاءت في ذهني على التو الآية المباركة التالية: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص" (الصف:61)

وكذلك يمكن لنا أن نقول إن العبارة التالية للحجازي مستقاة من القرآن: "لن يندثر الإسلام، إنه دين الله، إن لا تدافعوا عنه يختار الله قوما آخر لحمايته"([78]) وهذا المفهوم مأخوذ من الآية التالية: "إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم" (التوبة:39)

48. ومن ميزات أسلوب علي أحمد باكثير أنه اقتبس من الشعر العربي في عباراته أيضاً([79]) على سبيل المثال إنه يقول:

"ولبث دهرًا يكتفي من حبيبته بالنظرة العجلى وبالأسبوع تنقضي أوائله وأواخره لا يراها إلا مرة أو مرتين...."ولكن الواشي درى بأمر الحبيبين فما قرت بلابله"([80])

والفقرتان مقتبسان مما قاله جميل بثينة([81]):

وإني لأرضى، من بثينة، بالـــذي لو أبصره الواشي، لقرت بلابله

بلا، وبألا أستطيع، وبالمنـــــى وبالوعد حتى يسأم الـــوعد آمله

وبالنظرة العجلى، وبالحول تنقضي أواخره، لا نلتقـــــي، وأوائله([82])

أما نسيم حجازي فلم نجد في روايته شيئا من الشعر الأردي أو العربي إلا أنه في موضع قدم ترجمة أردية لبيتين عربيين غنتهما جارية لما رأت جيش المسلمين يمر من قرب قريته. وفحواهما:

يا أبناء الشعب الأباة! إن غبار خيولكم أرفع لدي من الثريا. وإن وجوهكم الملبدة بالغبار أجمل في عيني من البدر.([83])

49. قد اقتبس علي أحمد باكثير من خطب الخطباء الكبار في عباراته أيضا، وذلك على لسان شخصيات القصة وقت إلقاءهم الخطب، على سبيل المثال إنه يقول على لسان "قطز" عندما يري أمراء الحكومة لا يريدون القتال ويتخاذلون: "ألم تعلموا يا أمراء السوء أنه ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا؟"([84]) وهذه العبارة مأخوذة من خطبة سيدنا على -رضي الله عنه- التي ألقاها عندما أغار سفيان بن عوف على الأنبار.([85])

50. إن كاتب قصة "وا إسلاماه" شاعر أيضاً مع كونه روائياً فلذا نجده يورد بعض الأبيات في قصته في بعض المواضع([86]) بينما لا نرى ذلك عند نسيم حجازي.

51. إن الشخصية المركزية "الملك قطز" لقصة "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير شخصية تاريخية حقيقية،([87]) بينما نرى أن الشخصية المركزية "الطاهر بن يوسف" لقصة "الصخرة الأخيرة" شخصية خيالية اخترعها ذهن المصنف ولا علاقة لها بالتاريخ.

52. إن بطل رواية "وا إسلاماه" يقتله واحد من أصحابه في نهاية القصة، بينما لا نجد مصير "الطاهر بن يوسف" في رواية "الصخرة الأخيرة"، فهل مات على فراشه أم استشهد مجاهدا في سبيل الله، لم يُشر إلى ذلك صاحب الرواية.

53. إن بطل قصة "الصخرة الأخيرة" هو الطاهر بن يوسف، إلا أن القارئ عندما يصل إلى نهاية القصة يذهب به الظن إلى أنه ليس بطلها، والشيء الذي يجعله يظن بهذا الطريق أن القصة تحتوي على أكثر من خمسمائة صفحة، إلا أنها بعد وفاة "السلطان جلال الدين" تنتهي فورًا، ولا يجد القارئ تفصيل تلك الوقائع التي تحدث مع بطل القصة بعد ذلك، إنه يقضي خمسة عشر عاماً في جيش السلطان الإلتتمش، وبعد تقاعده ينذر نفسه لخدمة الدين، فقارئ القصة لا يرى شيئا عن هذه الحقبة الطويلة من حياته سوى الإشارة السريعة اليها في بضعة أسطر خلال الصفحتين الأخيرتين أو الثلاث من القصة.([88])

54. بسبب كون ذلك العصر عصر اللسان، كانت سوق المناظرات رائجة في ذلك الزمن، وفي كثير من الأحيان كانت هذه المناظرات تتحول إلى مشاجرات عنيفة، وقد أشار إلى ذلك نسيم حجازي في بعض المواضع([89])، بينما لم يتطرق إلى ذلك علي أحمد باكثير.

55. قد ذم الحجازي هذه المناظرات التي كان الهدف ورائها إثبات تفوق واحد على الآخر ونيل الأهداف الشخصية، ولم يكن إثبات الحق غرضها على الإطلاق.([90])

56. نرى في رواية "وا إسلاماه" تناقضا في سلوك "جلال الدين" في حدثين متشابهين يقعان في زمنين متقاربين، إنه يفقد كل ما يملكه من المال والأحباء والأهل، وفيهم "قطز" و"جلنار"، ويرى أمه وزوجته وأخته وبنات أخواله وأعمامه يغرقن في اليم، وعلى مشهد منه، ولكنه لا يترك أهداب الأمل، بعد برهة من الزمن إنه يجد "قطز وجلنار" ويبدأ يعيش معهما بسعادة، إلا أن كرديا يختطفهما بعد زمن قصير، فيفقد جلال الدين وعيه وينسى كل ما يكون لزاما عليه من مقاومة التتار، ويكاد يموت من الغم ويمتنع عن الطعام، ويلوذ بالخمر فيدمنها.

57. قد ذكرنا في الصفحات الماضية أن التاريخ موضوع جاف، يتعب القارئ بعد قراءة بضع صفحات منه، وللبعد بالقاري عن هذا السأم والتعب وضع كل من المصنفين فيها حلاوة الحب العفيف بين البطلين، وكذلك نرى في "الصخرة الأخيرة" أن نسيم حجازي قد أعطى الفكاهة حقها من أجل ذلك الغرض حيث أن شخصية "زيد" تلعب فيها دورا فكاهيا، وتجعل الابتسامة تعلو على شفتي القارئ، بينما لا نجد شخصية مماثلة لها في رواية "وا إسلاماه".

58. إن "الملك قطز" -بطل قصة "وا إسلاماه"- يتشرف بزيارة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في منامه،([91]) فيبشره ببشارات عديدة بينما لا يتشرف

"الطاهر بن يوسف" -بطل قصة "الصخرة الأخيرة"- بمثل هذه الزيارة وتلك البشارات.

59. قد حصل علي أحمد باكثير بسبب كونه من أبناء اللغة العربية على مواد روايته من المصادر التاريخية العربية بينما نرى أن "نسيم حجازي" قد اعتمد على المراجع من كتب التاريخ بالأردية والإنجليزية والفارسية.([92])

60. كلا الكاتبين قد أخذ الأحداث الكبرى لروايته من صفحات التاريخ، ثم ملأ نسيج القصة بالخيال حسبما يريد، إلا أن هناك تفاوتاً بينهما في أن الكاتب الباكستاني "نسيم حجازي" يُعطي نفسه الحرية أكثر حيث يتصور حادثة من الحوادث، ثم يضفي عليها من أسلوبه وفنه، وخير دليل على ذلك بطل الرواية التي هي شخصية خيالية، بينما نرى "باكثير" أكثر اهتماماً باستلام الأحداث والشخصيات من التاريخ.([93])

61. إن نهاية رواية "وا إسلاماه" نهاية سارة حيث تنتهي بفتح المسلمين وانتصارهم على التتار، ويرى القارئ المياه وقد عادت إلى مجاريها، إنه يرى البطل يفوز في جهوده ويصبح ملكاً، ويموت وقلبه هادئ غير قلق، بينما نجد نهاية القصة في رواية "الصخرة الأخيرة" نهاية مؤلمة مأساوية حيث يترك القارئ البطل وهو يجاهد للحصول على مرضاة قلبه. ولعل سببها أن البلاد التي كان نسيم حجازي يكتب بها هذه القصة تمر في تلك الأيام بأصعب أحوالها،([94]) وقد أشار إلى ذلك نسيم حجازي نفسه في مقدمة هذه الرواية قائلاً:

> "إن مسودة "الصخرة الأخيرة" كنت قد انتهيت منها سنة 1946م. كنت أظن وأنا أكتب هذه الرواية أن المؤرخين للعصر الجنكيزي قد بالغوا في تسجيل مظالم التتار الفظيعة، والتي تأثرت بها جدًا، وما كنت أعرف أنني بعد سنة أرى بيتي مشتعلاً في تلك النار التي كانت قد أحرقت المدن الإسلامية الجميلة قبل بضعة قرون.
>
> يكتب مؤرخ من مؤرخي ذلك العصر: لو أصف كل المظالم والفظائع التي ارتكبها التتار في تلك الآونة لأخاف أن الأجيال القادمة تراني كاذباً، واليوم يذهب بي الظن إلى أن الأجيال القادمة لفرقة وحشية في إقليم بنجاب الشرقي لتكذب تلك الجرائم والمظالم التي ارتكبها أسلافها، والتي قد أضافت باباً جديدًا إلى تاريخ الوحشية والهمجية".([95])

62. ألقت رواية "الصخرة الأخيرة" ضوءا على حياة "خوارزم شاه" -والد جلال الدين- ومعاركه وبطولاته بالتفصيل، بينما لا نجد ذلك في رواية "وا إسلاماه"، إن الروائي في بداية الرواية اكتفى بإشارة إلى هزيمته على أيدي التتار، وذلك على لسان ابنه "جلال الدين".

63. إن رواية "وا إسلاماه" لم تتناول شخصية "جلال الدين بن خوارزم شاه" ومعاركه ووقائعه وبطولاته كما تناولتها رواية "الصخرة الأخيرة".([96])

64. إن شخصية "الطاهر بن يوسف" -بطل قصة "الصخرة الأخيرة"- يحدث معه في بعض الأحيان ما لا يؤمن به العقل، كما يراه القارئ طول القصة شخصية لا يمكن السيطرة عليها، إنها لا تُهزم ولا تموت،([97]) بل تنجو من

مخالب الموت بطرق عجيبة، فهي من هذه الناحية شخصية أسطورية. على سبيل المثال يُحكم عليه بالشنق بعد أن يُتهم بأنه من الخونة، وعندما يكون واقفاً على منصة الإعدام، يهجم التتار على المدينة، فيُفرج عنه،([98]) وكذلك عندما يكون في الصحراء وعلى وشك الموت من شدة البرد والجوع والتعب، ولا يعرف الطريق يصله فرس مع مزملة فيها طعام وينجيه من براثن الموت([99]) وبينما يكون في السجن يُرسل إليه أعداءه الطعام المسموم ليموت ولكن سجيناً آخر يأكل الطعام في موضعه.([100])

65. لم يحظ باكثير شخصية جلال الدين بعصمة وقداسة مثلما فعل صاحبنا "نسيم حجازي".

66. يقول أصحاب التاريخ إن جلال الدين أمر رجاله بإغراق نساء أسرته في نهر السند بعد هزيمته على حافته، وذلك كي لا يقعن في أيدي التتار، فابتلعهن اليم وهو على حافة النهر ينظر إليهن، وقد أشار إلى هذا الحدث الجلل علي أحمد باكثير في روايته "وا إسلاماه" ([101]) بينما لم يُشر "نسيم حجازي" إلى ذلك الحدث الكبير متناولا أحداث هذه الهزيمة.

67. كل واحد من الكاتبين ذكر قصة شرب خمر السلطان "جلال الدين" في آخر حياته وبفقد وعيه. ولكنه لماذا لاذ بالخمر، فقد اختلف في سببه كل واحد منهما، أما "علي أحمد باكثير" فإنه يرى أن فقد ابنيه –جلال الدين-كان سبباً لذلك([102]) بينما يرى الكاتب الأردي "نسيم حجازي" أن سحب خليفة بغداد وولاة الدويلات الأخرى أيديهم من مساعدته كان سبباً لذلك.([103])

68. وكذلك اختلفت الروايتان في مصير "جلال الدين" أما صاحب رواية "الصخرة الأخيرة" فإنه يخبرنا بأن الناس يهيمون في أودية الظنون، فلا يعرفون ماذا جرى بـــ "جلال الدين"؟ هل صار درويشا في آخر حياته أم استشهد في سبيل الله وهو يجاهد التتار، أم قتله أحد من جواسيسهم، وللناس في ذلك أقوال،([104]) بينما ذكر علي أحمد باكثير بأن كرديا قتله لما وجده وحيدا في مخبأه الذي لجأ إليه بعد تركه جيشه.([105])

69. أما من ناحية عائلات أبطال الروايتين وبطلاتهما فنجد بينهم تباينا إلى حد وتشابها إلى حد، تخير نسيم حجازي بطل روايته "طاهر بن يوسف" من عامة الناس، كان والده جندياً في عسكر "صلاح الدين الأيوبي" بينما اختار علي أحمد باكثير "محمود/قطز" من أسرة ملكية فهو سليل أخت الملك "جلال الدين"، وكذلك .هناك تشابه بين "جلنار" –بطلة رواية "وا إسلاماه"- وبين "ثريا" و"صفية" –بطلتي رواية "الصخرة الأخيرة" إلى حد كبير من هذه الناحية حيث أن كل واحدة منهن تنتمي إلى أسرة حاكمة، كانت "جلنار" بنتا للملك جلال الدين، وكذلك كانت "ثريا" بنتا لوالي المدينة، أما "صفية" فإنها من أسرة "افتخار الدين" رئيس الوزراء لبغداد.

70. قد سبقت من قلم علي أحمد باكثير في موضع في تصويره للحب بين الحبيبين بعض الكلمات التي لا تتفق مع قيم الحياة الإسلامية، فنحن نرى أثناء القصة أن قطز وجلنار –الحبيبين- عندما يبيعهما "موسى" لرجلين مختلفين ويصيح بينهما غراب البين ويحين وقت الفراق لا يستطيعان أن يملكا أعصابهما فيتعانقان ويتبادلان القبلات، يقول باكثير:

> "ولما رأتهم جلنار وعلمت أن لا مناص لها من المسير معهم، أرسلت ثياب مولاتها الوالهة الحسرى. واندفعت إلى حبيبها

قطز ففتح لها ذراعيه وتعانقا عناقا طويلا، تبادلا فيه قبلات الوداع، وأودعا فيه أحر ما تكنه جوانحهما من لواعج الحب وبرحاء الأسى، وقد اختلطت أنفاسهما، وامتزجت دموعهما ونسيا ما حولهما وغرقا في غيبوبة من النشوة والحنين.([106])

بينما لا يرى القارئ صاحبنا الآخر "نسيم حجازي" يقوم بمثل هذا التفنن طول قصته.

71. قد قام نسيم حجازي بإلقاء بعض الضوء على شخصية صلاح الدين الأيوبي وبطولاته في بداية القصة، وذلك خلال سرد أحوال والد البطل في الباب الأول، بينما لم نجد ذلك في رواية "وا إسلاماه".

72. إن التاريخ شاهد على أن النساء في ذلك الزمن قد لعبن دورًا هامًا في سياسة القصور، ولهن ومن أجلهن نشبت الحروب وثارت، وقد تناول علي أحمد باكثير هذا الجانب من التاريخ في صورة شخصية الملكة "شجرة الدر" التي لعبت بقلوب الملوك والرؤساء، وبذرت بذرة الاختلاف والتفرق والتشاجر بينهم من أجل منفعتها الذاتية، بينما لم يتعرض لهذا الجانب نسيم حجازي على الإطلاق.

73. يبلغ عدد صفحات رواية "الصخرة الأخيرة" ضعف صفحات رواية "وا إسلاماه"، لكنها تُعالج فترة زمنية أقل من تلك التي أحاطت بأحداثها رواية "وا إسلاماه"، فلهذا السبب نجد تفصيل بعض هذه الأحداث الموجعة المؤلمة أكثر في رواية " الصخرة الأخيرة"

74. اكتفى نسيم حجازي بذكر تلك الحروب الدامية التي دارت رحاها بين المسلمين والتتار ولم يتطرق إلى تلك الحروب التي انشعلت نارها بين المسلمين والصليبيين في ذلك الزمن سوى الإشارة الخاطفة إلى المعركة التي فتح بها صلاح الدين الأيوبي جبل يروشلم، بينما نجد لها نصيبا أيضا في رواية "وا إسلاماه".

75. إن الرواية تستوعب كل حياة البطل وهذا هو الفرق بينها وبين القصة القصيرة التي لا تُلقي ضوءًا إلا على جانب من جوانب شخصية البطل وفترة من حياته.([107]) فرواية "وا إسلاماه" تُحيط بكل حياة البطل- من ولادته وحتى موته- بينما يترك صاحب رواية "الصخرة الأخيرة" القصة في المنتصف، فإنه في النهاية يذكر أن بطل الرواية يلتحق بالجيش الهندي بعد أن ييأس من الخليفة وأهل بغداد، فلا يستطيع القارئ أن يتعرف على أحوال البطل بعد ذلك.

76. اكتفى نسيم حجازي بذكر سقوط بغداد على يد الطاغية هولاكو خان في الصفحتين الأخيرتين من روايته ولم يتناول أحداثه بالتفصيل.

الهوامش

1- Harold Lamb, The March of The Barbarians, New York, Doubleday, Doran and Company, 1940.

2- ابن الشعار، كمال الدين البركات المبارك بن أبي بكر الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: رضوي، خورشيد (الدكتور)، لاهور، جامعة بنجاب، مركز الشيخ زايد الإسلامي، الطبعة الأولى:1422هـ/2001م، ص: 38، إحالة على: الحنبلي، ابن العماد عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج:5، ص:61.

[3]- نفس المصدر، إحالة على: الشذرات، ج: 5، ص:73.

[4]- الكاتب الأردي الباكستاني الشهير الذي وُلد سنة 1914م وتوفي سنة 1995م، كتب الروايات والقصص حول موضوعات تاريخية إسلامية، للتفصيل حول حياته ومآثره راجع: راجا، تصدق حسين(الدكتور)، نسيم حجازي ايك مطالعة، لاهور، قومي كتب خانه، ونفس المصنف، نسيم حجازي كتابيات، إسلام آباد، مقتدره قومي زبان، 1987م.

[5]- الشاعر والروائي الشهير الذي وُلد سنة 1308هـ/1900م بمدينة "سورابايا" في اندونيسيا، وتُوفي في شهر نوفمبر سنة 1969م في القاهرة. للتفصيل حول حياته ومآثره راجع: الجدع، أحمد، علي أحمد باكثير شاعر من حضر موت، الأردن، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة،1407هـ/1986م.وكذلك الشبكة التالية: www.bakatheer.com.

[6]- حجازي، نسيم، آخرى چٹان، لاهور، جهانگير بك ڈپو، 2005م.

[7]- باكثير، علي أحمد، وا إسلاماه، الفجالة، مكتبة مصر سعيد جودة السحار وشركاه، بدون ذكر الطبع والسنة.

[8]– قد قارنت بين هاتين الروايتين وبحثت عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما حسب المذهب الأمريكي المتداول للأدب المقارن الذي لا يشترط وجود علاقة التأثير والتأثر، بل يكتفي بوجود أوجه التشابه والاختلاف بين الأدبين المقارنين.علي شلش(الدكتور)، الأدب المقارنبين التجربتين الأمريكية والعربية، الرياض، دار الفيصل الثقافية، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م، ص:61-68. (وقد تناولت نفس الموضوع(المقارنة بين هاتين الروايتين) في صورته الابتدائية وبإيجاز شديد في مقال لي باسم: على أحمد باكثير ونسيم حجازي، دراسة مقارنة بين الروايتين ...يُنشر على صفحات مجلة "آفاق الثقافة والتراث" الأدبية والثقافية في عددها الثاني والسبعين).

[9]- إنها شخصية خيالية، ولا علاقة لها بالتاريخ.

[10]- (532-589هـ=1137-1193م) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب باللقب الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. للتفصيل حول حياته أنظر: الزركلي، المرجع السابق، المجلد الثامن، ص:220، و الصلابي، علي محمد محمد(الدكتور)، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثانية:1430هـ/2009م.

[11]- دخل الأيوبي بيت المقدس في 27 رجب 583هـ. أنظر: الصلابي، المرجع السابق، ص:539-.540

[12]- اسمه الأصلي "تمرجين" ومعروف بلقب "جنكيز خان" (الملك الأعظم أو ملك الملوك) لم ير التاريخ مدمرًا وقاتلاً مثله، يقال إنه مسئول عن قتل 8400000 نسمة. وكانت وفاته في رمضان سنة 624هـ. راجع: شوقي أبو خليل(الدكتور)، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، سورية، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية عشر، 1425هـ=2005م، ص:223. و اردو انسائيكلو پيڈيا، لاهور، شيخ غلام علي ايند سنز، بدون ذكر التاريخ، الجزء الأول، ص:520.

[13]- كان حاكم الامبراطورية الخوارزمية من عام 1200 إلى 1220م، انهزم على يد جنكيز خان، وفر إلى خراسان واختبأ بها، إلا أنه توفي بعد بضعة أسابيع متأثرا بداء الجنب.

[14]- (م: 627هـ/1231م) ابن علاء الدين محمد خوارزم شاه ، الملك الذي قضى الحياة كلها في حرب مستمرة ضد المغول. للتفصيل حول حياته راجع: حسن إبراهيم حسن(الدكتور)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، دار الجيل، الطبعة الخامسة عشرة، 1422هـ/2001م، الجزء الرابع، ص:100-101.

[15]- (م: 633هـ/1236م) هو أبو الظفر إلتتمش السلطان، إنه ملك ثاني من ملوك "غلامان" (الرقيق) في الهند، صار ملكا للهند سنة 608هـ/1212م. للتفصيل راجع: اردو دائرة معارف إسلاميه، لاهور، دانش گاه پنجاب، الطبعة الأولى، 1388هـ/1968م، المجلد الثالث، ص:72-79. ويجدر بي أن أذكر أن إسمه الصحيح هو "إلْتَمش" (إ ل ت ت م ش) إلا أن صاحبنا نسيم حجازي قد استخدمه بتاء واحد بدل التاءين.

[16]- (571-623هـ=1175-1226م) هو محمد بن أحمد، أبو نصر، الظاهر ابن الناصر ابن المستضيئ العباسي: من خلفاء الدولة العباسية في العراق، بويع بعد وفاة أبيه سنة 622هـ. راجع: الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة

السابعة، 1986، المجلد الخامس، ص:320، وابن كثير، البداية والنهاية، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة: 1407هـ/1987م، المجلد السابع، ص:121-122.

[17]-((588-640هـ=1192-1242م) منصور (المستنصر بالله) ابن محمد (الظاهر بأمر الله): خليفة عباسي. ولي ببغداد سنة 623هـ. ابن كثير، المرجع السابق، ص:122-123.

[18]- (609-656هـ=1212-1258م) هو عبد الله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) ابن محمد (الظاهر) من سلالة هارون الرشيد العباسي: أخر خلفاء الدولة العباسية في العراق. بموته انقرضت دولة بني العباس في العراق. أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ج:4، ص:140، وابن كثير، المرجع السابق، ج:7، ص:171-172 و217-218.

[19]- يقول ابن خلدون: "إن الذي أحصى فيها من القتلى ألف ألف وثلاثمائة الف ". للتفصيل أنظر:ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1424هـ/2002م، ج:5، ص:642.

[20]- (م: 658هـ/1260م) هو قطز بن عبد الله المعزي، سيف الدين، ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام، تدور "وا إسلاماه" حول أحداث حياته. للتفصيل أنظر: الزركلي، المرجع السابق، الجزء الخامس، ص:201. و ابن خلدون، المرجع السابق، الجزء الخامس.

[21]- (625-676هـ=1228-1277م) هو بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر: تلقب بالملك "القاهر، أبي الفتوحات" ثم ترك هذا اللقب وتلقب بالملك "الظاهر". الزركلي، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص:.79

[22]- (603-647هـ = 1206- 1249م) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن ابي بكر بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين بمصر.للتفصيل راجع: الزركلي، المرجع السابق، ج:2، ص:.38

[23]- (م: 648هـ/1251م) إسماعيل(الصالح، عماد الدين، أبو الخيش) بن محمد أبي بكر: من ملوك الدولة الأيوبية. تسلطن بدمشق بعد وفاة صاحبها(أخيه) الأشرف سنة 635هـ. قتله بعض رجال صاحب مصر. راجع: نفس المرجع، ج:5، ص: 324.

[24]- (م: 656هـ/1252م) ايبك بن عبد الله الصالحي النجمي، عز الدين التركماني، أول ملوك الأتراك. قتلته الملكة شجرة الدر. للتفصيل راجع: الزركلي، المرجع السابق، ج:2، ص:33، وابن كثير، المرجع السابق، ج:7، ص:211-212.

[25]- كان أمير ومقدم المماليك البحرية بمصر، بعد مصرع الأمير فخر الدين يوسف أتابك الجيش في معسكر جديلة جنوب المنصورة، تسلم أقطاي قيادة الجيش وأصبح القائد العام للجيوش المصرية، قتله عز الدين أيبك.

[26]- من شهيرات الملكات في الإسلام ذات إدارة وحزم وعقل ودهاء وبر وإحسان، بعد موت زوجها الملك الصالح وقتل ابنه تورانشاه تولت السلطة وذلك في 2 صفر سنة 648هـ إنها قتلت سنة 655هـ . راجع: كحاله، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1397هـ/1977م، ج:2، ص:286-.290

[27]- (م: 648هـ=1250م) ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية بمصر، وأخرهم، قتلته الملكة شجرة الدر. راجع: الزركلي، المرجع السابق، ج:2، ص:90، وابن كثير، المرجع السابق، ج:7، ص:192.

[28]- (553هـ-626هـ) هو الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، بويع له بالخلافة سنة 575هـ وكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهرًا. راجع، ابن كثير، المرجع السابق، ج:7، ص:114-.115

[29]- هو تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، كان شجاعا فاتكا، توفي سنة 587هـ ودفن بحماه. راجع: ابن كثير، المرجع السابق، ج:6، ص:.369

[30]- (645- بعد 657هـ=1247- بعد 1259م) علي بن أيبك التركماني الصالحي نور الدين، ولي سنة 656هـ وهو صغير، ولقب بالمنصور، وعندما جاءت الأخبار باستيلاء هولاكو على بغداد اجتمع أمراء الدولة والقضاة وكبار المشايخ، وخلعوه في أواخر سنة 657هـ. الزركلي، المرجع السابق، ج:4، ص:.265

[31]- هو حفيد جنكيز خان الذي هجم على بغداد سنة 1258م، ودمرها تدميرًا، وقتل مئات آلاف من المسلمين، توفي سنة1264م. راجع: اردو انسائيكلوپيڈيا، الجزء الثاني، ص:.1857

[32]- على سبيل المثال في "وا إسلاماه : "وردته إلى بلاده بخفي حنين" ص:166، و "إياك أعني واسمعي يا جارة" ص:148، و" كانت الحرب بين أبيك وبين هؤلا سجالا" ص: 6، "وأطوع لك من حاتم في يدك" ص:7، وفي الصخرة الأخيرة : "برّ هاپے كي لاٹهي" ص:35 و "سر كا بال تك بيكا نه هونا" ص:117 و "آسمان كے تارے نوچنا" و"طوفان سے كهيلنا" ص:146- "ڈوبتے هوے جهاز كے ملاح كا فرض ادا كرنا. ص:200. گرگ باران ديده، ص:392.

[33]- باكثير، المرجع السابق، ص:30-31

[34]- إنه استخدم تركيب "الأستاذ بعد التلميذ" و"التلميذ بعد الأستاذ" ثماني مرات في صفحة 78-79 ومرتين في:91

[35]- صديق، أبوبكر، عبد الغفار، الرواية التاريخية الإسلامية، دراسة مقارنه بين روايتي "وا إسلاماه" و"السد الأخير"، رسالة الماجستير، باكستان، إسلام آباد، الجامعة الإسلامية العالمية، 1998م-1999م، ص:.38

[36]- باكثير، المرجع السابق، ص: 17-18، وحجازي، المرجع السابق، ص:389-390.وابن خلدون، المرجع السابق، ج:5، ص:619.

[37]- باكثير، المرجع السابق، ص:194. [38] - حجازي، المرجع السابق، ص:440. [39] - نفس المرجع، ص:202.
[40]- نفس المرجع ، 211. 41 - باكثير، المرجع السابق، ص: 6. [42]-حجازي، المرجع السابق، ص:25 و 135، 136، 264-266، وباكثير: المرجع السابق، ص:218. [43]- باكثير، المرجع السابق، ص:.10
[44]- حجازي، المرجع السابق، ص:268-.269 45 - نفس المصدر، نفس الصفحة.
46 - باكثير، المرجع السابق، ص:10-.12 47- حجازي، المرجع السابق، ص:73-75 و124.
48 - نفس المرجع، ص: 42-43، 137-138 وباكثير، المرجع السابق، ص:162-163.
49 - حجازي، المرجع السابق ، ص:472-479. [50] - باكثير، المرجع السابق ، ص:53-.60
[51] - حجازي: المرجع السابق، ص:42، 43، 60، و.277 [52]- نفس المرجع، ص:427-.428
[53] - باكثير، المرجع السابق، ص:.83 54- حجازي، المرجع السابق، ص: 32، 33.
[55]- باكثير، المرجع السابق، ص:.179 [56]- حجازي، المرجع السابق، ص:254-260.
[57]- نفس المرجع، ص:42-43، 50، وباكثير، المرجع السابق ، ص:84. [58]- باكثير، المرجع السابق، ص:.84
[59]- حجازي، المرجع السابق، ص:81، 84 وباكثير، المرجع السابق، ص:10-15، و86-.87
[60]- حجازي، المرجع السابق، ص: .79 [61]- نفس المرجع، ص:.22.
[62]- نفس المرجع، ص:86-87، و336-.337 [63] - باكثير، المرجع السابق، ص: .84
[64] - للتعرف على أحوالهم في كتاب واحد أنظروا: طقوش، محمد سهيل(الدكتور)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام(648-923هـ/1250-1517م)، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى:1418هـ/1997م.
[65]- حجازي، المرجع السابق، ص:159. [66] - نفس المرجع، ص: .173
[67]- نفس المرجع، ص:331-343
68- باكثير، المرجع السابق، ص:156-.163 [69] - حجازي، المرجع السابق، ص: 164.
[70] - نفس المرجع، ص:.6 [71] - باكثير، المرجع السابق، ص:.173
[72]- لمعرفة الفرق بين هذين المبدأين أنظروا: وحيد عشرت (الدكتور)، نظريه اور ادب، لاهور، پاكستان فلسفه اكادمي، 1989م، ص: 25-.26
73- حجازي، المرجع السابق، ص:6. [74]- باكثير، المرجع السابق، ص:.28
[75] - نفس المرجع، ص:185. [76] - نسيم حجازي، المرجع السابق، ص:34، 207، .440
[77] - نفس المرجع، ص:282 [78]- نفس المرجع، المرجع السابق، ص:285، 491.
[79]- غوري، محمد علي، "رواية "وا إسلاماه" للكاتب الكبير على أحمد باكثير(دراسة نقدية)" مقال ضمن مجلة: الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، الجامعة الإسلامية العالمية، العدد الأول، المجلد الرابع والثلاثون، الربيع(يناير-مارس 1999م/رمضان-ذوالقعدة 1419هـ)ص:.138
[80]- باكثير، المرجع السابق، ص:125.
[81]- (40-82هـ/660-701م) هو أبو عمرو جميل معمر من بني عذرة من قضاعة، الشاعر الأموي الشهير. راجع: فاخوري، تميم محمود ومريم شبلي، أعلام الشعر العربي، لبنان، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى:1423هـ/2003م، ص:123-124.
[82]- جميل، ديوان جميل بثينه، تحقيق: بطرس البستاني، بيروت، مكتبة صادر، 1953م، ص:131.
[83]- حجازي ، المرجع السابق، ص:233. لم يذكر الحجازي مرجع هذين البيتين، وأنا أيضا لم أستطع العثور عليه.
84- باكثير، المرجع السابق، ص: 185-186.
85- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون ذكر السنة، ج:2، ص:25.
[86]- إنه مثلا يقول: "وكان الجيش طوال مسيره من الصالحية إلى غزة ومن غزة إلى عكا، ومن عكاء إلى عين جالوت يردد هذا النشيد:

نمضي إلى التتار	بالأبيض البتار		نمضي إلى التتار	بالعسكر الجرار
والأسل الحرار	نطلبهم بالثار		كالأسد الضواري	نعصف بالفجار
لله والمختار	وشرف الديار		كالريح... كالإعصار	كالمانح الهدار
نطرحهم في النار	وغضب الجبار		نغرقهم في النار	وغضب الجبار

أنظر: باكثير، المرجع السابق، ص:.191
[87] - للتفصيل حول حياته وعهده أنظروا الفصل الرابع من كتاب: طقوش، محمد سهيل، المرجع السابق.
[88] حجازي، المرجع السابق، ص:509-510. [89] - نفس المرجع، ص:44-45، 54-56.
[90]- نفس المرجع، ص: 57-58، 483،485. [91]- باكثير، المرجع السابق، ص:103-.104
[92]- صديق، أبو بكر، المرجع السابق، ص:87. [93] - نفس المرجع، ص:228. [94]- نفس المرجع، نفس الصفحة.
[95]- حجازي، المرجع السابق، ص:5. [96]- صديق، المرجع السابق، ص:98. [97] - نفس المرجع، ص:133، 239.

[98]- حجازي، المرجع السابق، ص:193-194. [99] - نفس المرجع، ص: 207.
100 - نفس المرجع، ص:345-346.
[101]- باكثير، المرجع السابق، ص:18. وابن خلدون، المرجع السابق، الجزء الخامس، ص:.619
[102]- باكثير،المرجع السابق، ص:53-54 [103] - حجازي، المرجع السابق، ص:471-472.
104 - نفس المرجع، ص:479. [105]- باكثير، المرجع السابق، ص:60. 106 - نفس المرجع، ص:.84
[107]- الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار ذوي القربى، الطبعة الأولى:1422هـ، الجزء الثاني، ص:26. والنساج، سيد حامد (الدكتور)، القصة القصيرة، القاهرة، دار المعارف، ص:17.

المراجع والمصادر

1. باكثير، علي أحمد، وا إسلاماه، الفجالة، مكتبة مصر سعيد جودة السحار وشركاه، بدون ذكر الطبع والسنة.
2. الجدع، أحمد، علي أحمد باكثير شاعر من حضر موت، الأردن، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة،1407هـ/1986م.
3. حجازي، نسيم، آخري چٹان، لاهور، جهانگير بك ڈپو، 2005م.
4. حسن إبراهيم حسن(الدكتور)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، دار الجيل، الطبعة الخامسة عشرة، 1422هـ/2001م.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1424هـ/2002م، ج:5.
6. دانش كاه بنجاب، اردو دائره معارف إسلاميه، لاهور، دانش كاه بنجاب، الطبعة الأولى، 1388هـ/1968م.
7. راجا، تصدق حسين(الدكتور)، نسيم حجازي (ايك مطالعة)، لاهور، قومي كتب خانه، 1987م.
8. ـــــــ، نسيم حجازي (كتابيات)، إسلام آباد، مقتدره قومي زبان، 1987م.
9. الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، 1986، ج:5.
10. شوقي أبو خليل(الدكتور)، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، سورية، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية عشر، 1425هـ=2005م.
11. صديق، أبوبكر، عبد الغفار، الرواية التاريخية الإسلامية، دراسة مقارنة بين روايتي "وا إسلاماه" و"السد الأخير"، رسالة الماجستير، باكستان، إسلام آباد، الجامعة الإسلامية العالمية، 1998م-1999م.
12. الصلابي، علي محمد محمد(الدكتور)، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثانية: 1430هـ/2009م.
13. غلام علي، شيخ ايند سنز، اردو انسائيكلو پيڈيا، لاهور، شيخ غلام علي ايند سنز، بدون ذكر التاريخ.
14. طقوش، محمد سهيل(الدكتور)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام(648-923هـ/1250-1517م)، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى:1418هـ/1997م
15. ابن كثير، البداية والنهاية، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة: 1407هـ/1987م.
16. الموصلي، ابن الشعار، كمال الدين البركات المبارك بن أبي بكر الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: رضوي، خورشيد (الدكتور)، لاهور، جامعة بنجاب، مركز الشيخ زايد الإسلامي، الطبعة الأولى:1422هـ/2001م.
17. وحيد عشرت (الدكتور)، نظريه اور ادب، لاهور، باكستان فلسفه اكادمي،1989م.
18. Harold Lamb, The March of The Barbarians, New York, Doubleday, Doran and Company, 1940.